دور المسرح المدرسي في التدريب على المهارات الحياتية بالتعليم الثانوي التأهيلي

د. حسن لمغرز
باحث في الآداب
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة فاس مكناس
المغرب

مقدمة

إن أنشطة الحياة المدرسية تعتبر من العناصر الأساسية التي تضيف قيمة كبيرة للعملية التعليمية التعلمية، حيث تسهم في تشكيل شخصية المتعلم وتطوير مهاراته الحياتية، فالوسط المدرسي ليس فضاء لاكتساب المعارف العلمية والأدبية فقط، بل هو فضاء لاكتساب عدة كفايات ومهارات يحتاجها المتعلم للاندماج في الحياة الاجتماعية الخارجية ومواجهة التحديات اليومية بشكل أكثر فعالية.

ونظرا لأهمية هذه الأنشطة فقد حظيت بالاهتمام المتواصل من طرف القائمين على الشأن التربوي المغربي، حيث تم التنبيه إلى أهميتها في مختلف الوثائق الرسمية المؤطرة للتعليم المغربي، حيث أولى الميثاق الوطني للتربية والتكوين أهمية كبيرة للحياة المدرسية واعتبرها «مجالا حيويا وإلزاميا في التعليم»[1]؛ لأنها تسهم في تشكيل ممارسة تربوية مبتكرة تخلق بيئة تعليمية مفعمة بالحيوية والدينامية، وتجعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعلمية، وتهدف إلى أن تكون المدرسة بيئة منفتحة على المجتمع والمحيط، بحيث يتم تشجيع المتعلمين على الاستفادة من تجاربهم اليومية والتفاعل مع مختلف الفئات الاجتماعية.

وفي نفس الاتجاه سارت الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2030/2015، وكذا القانون الإطار 51.17، من خلال تأكيدهما على دعم الأنشطة التربوية وتعزيز ثقافة الابتكار والذكاء في الحياة المدرسية، وإنشاء مدرسة جديدة منفتحة تعتمد على مبدأي المساواة وتكافؤ الفرص، بهدف تحقيق الجودة للجميع وتزويد المتعلمين بالمهارات الحياتية الضرورية.

[1]. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 1999، ص 41.

ويعتبر المسرح من أهم الفنون التي انفتحت عليها المدرسة المغربية، سواء من خلال المقررات الدراسية الخاصة بمادة اللغة العربية أم الأندية المدرسية، حيث يحضر في الأولى على شكل نصوص مدرسة يتعرف من خلالها المتعلمون على أهم خصائص الكتابة المسرحية، وفي الثانية من خلال ورشات تشخيصية تشركهم في عملية التمثيل والتشخيص وتدربهم على تقنيات العرض والأداء. إذن كيف يسهم المسرح المدرسي في تطوير المهارات الحياتية لدى المتعلمين؟ وما هي أهم هذه المهارات المقصودة؟ وما مدى إقبال المتعلمين عليه في الوسط المدرسي؟

I. المهارات الحياتية: في اتجاه مقاربة تربوية جديدة

لقد أدى التطور التقني والمعرفي الذي مس مختلف جوانب الحياة الإنسانية إلى زيادة حاجة المجتمعات إلى البحث عن سبل جديدة للتمكن من مواكبة هذا التطور ومواجهته والاستفادة منه بشكل إيجابي، وبما أن حقل التربية والتكوين يعد المجال الأول والأساس لإعداد وتأهيل مختلف أفراد المجتمع، فقد اتجهت الجهود نحو البحث عن أشكال وأساليب ومناهج جديدة تساعد على ربط المدرسة بالمجتمع، وتكوين إنسان قادر على الاندماج والتفاعل الإيجابي، وممتلك لمختلف المهارات الحياتية المساعدة على ذلك.

إن مفهوم المهارات الحياتية قد عرف مؤخرا شهرة كبيرة، جعلت منه مفهوما متعددا ومتشعبا يحتاج إلى تأمل واستقراء تعريفات متعددة لأجل الوصول إلى فهم دقيق له، حيث تعرف بأنها «المهارات التي تساعد التلاميذ على التكيف مع المجتمع الذي يعيشون فيه وتركز على المهارات المنزلية، القدرة على تحمل المسئولية، الأنشطة الاقتصادية والتفاعل الاجتماعي»[1]، كما تعرف بأنها «أنماط سلوك تمكن المتعلم من تحمل المسؤولية بشكل أكبر بما يتصل بحياته من خلال القيم باختيارات حياتية صحية واكتساب قدرة أكبر على مقاومة الضغوط السلبية. حيث تركز على ما ينبغي للمتعلم أن يملكه سواء على مساوى القدرات العقلية أم النفسية أم السلوكية حتى يستطيع العيش بفعالية وكفاية أفضل»[2].

وقد عرفتها منظمة اليونيسيف أيضا باعتبارها مجموع «مهارات قابلة للتحويل والانتقال، تمكن الأفراد من التعامل مع الحياة اليومية والتقدم والنجاح في المدرسة والعمل والحياة

[1]. أحمد *اللقانى*، على الجمل، *معجم المصطلحات التربوية* المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 2003،
[2]. أبراهيم الخلوف الملكاوي، إدارة المعرفة: الممارسة والمفاهيم، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص 23.

المجتمعية على حد سواء»[1]، وبالتالي فإن المهارات الحياتية، من خلال هذه التعاريف، تتجه نحو التركيز على تدريب المتعلمين وتمكينهم من القدرات والكفايات اللازمة للاندماج والمشاركة الفعالة في الحياة الخارجية، إذ إن هذه الأخيرة هي المجال الذي يتجه نحوه المتعلم بعد تخرجه من المدرسة.

إن أهمية المهارات الحياتية حسب ما سبق تتجلى في تحقيق التكامل بين المدرسة والمجتمع، ومساعدة المتعلمين على التعامل بفعالية مع مواقف الحياة المختلفة والتغلب على صعوباتها، والتمكن من إدارة الضغوط والمواقف العصيبة بطرق صحية، مما يُسهم في تحسين الصحة النفسية، ويساعد على التواصل الإيجابي مع الآخرين، سواء في العلاقات الشخصية أو المهنية، مما يسهم في بناء علاقات اجتماعية قوية.

ويجب الإشارة إلى أن ارتباط المهارات الحياتية بكل من المدرسة والفرد والمجتمع يجعل منها مقاربة تربوية ذات أبعاد متعددة، أجملتها منظمة اليونيسف في أربعة أبعاد هي: البعد المعرفي (التعلم من أجل المعرفة) المتمثل في التأكيد على أهمية الفضول والريادة والتفكير النقدي للحصول على فهم أفضل للعالم والناس. والبعد العملي (التعلم من أجل الممارسة) القائم على تطوير القدرات اللازمة لتطبيق ما تم تعلمه في الممارسة العملية وكيفية التعامل مع المواقف الصعبة أثناء العمل بكفاءة وإنتاجية، ثم البعد الفردي (تعلم أن تكون) الذي يهدف إلى تطوير الشخص ككل، مما يسمح للفرد بالاستقلالية وتحمل المسؤولية الشخصية والحكم على الأمور. بالإضافة إلى البعد الاجتماعي (تعلم العيش معًا) الذي يشمل القدرات اللازمة لبناء هويات شاملة تتوافق مع قيم ومبادئ العدالة الديمقراطية والاجتماعية، مع اعتماد نهج قائم على حقوق الإنسان[2].

وإذا تأملنا هذه الأبعاد يمكن أن نلاحظ أنها تتضمن في طياتها مهارات فرعية متنوعة تختلف باختلاف الأبعاد المؤطرة لها، وقد حددتها مبادرة اليونيسيف في اثنتي عشرة مهارة تتوزع ضمن أربع مجموعات على النحو الآتي:

[1]. اليونيسف، قياس المهارات الحياتية في سياق تعليم المهارات الحياتية والمواطنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ص 2.
https://www.unicef.org/mena/media/7021/file/Arabic_4%20Pager_OL.pdf%20.pdf

[2]. اليونيسف، قياس المهارات الحياتية في سياق تعليم المهارات الحياتية والمواطنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ص 5.
https://www.unicef.org/mena/media/10621/file/LSCE%20report%20arabic%2011-1-2021.pdf%20.pdf

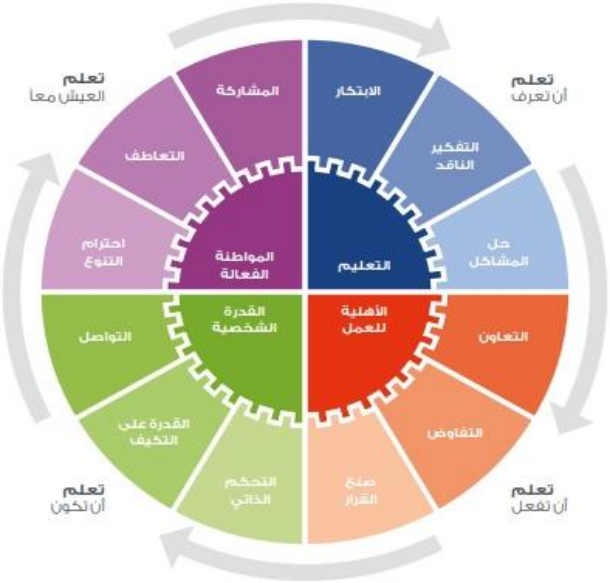

يتضح من خلال هذه الخطاطة أن المهارات الحياتية تقوم على التكامل سواء بين الأبعاد الكبرى أم المهارات الصغرى، وهو أمر مطلوب ومتوقع في سياق التربية والتكوين حيث يكون الغرض الأساس هو تمهير المتعلم على جميع الأصعدة، لذلك يجب ألا تكون هذه المهارات «منفصلة ومتعارضة؛ فالحياة الواقعية أكثر دينامية. إن أبعاد التعلم الأربعة متشابكة، مترابطة، ويعزز بعضها الآخر بعضاً لتتضافر عند المتعلم الفرد»[1].

إن جانب الشمولية الذي يميز التوجه نحو تعليم المهارات الحياتية جعل منها مقاربة تربوية جديدة في مجال التربية والتعليم، وهو ما يفرض على الفاعلين المباشرين في هذا المجال التوفر على عدة معرفية وكفاية تعليمية تفاعلية، إذ يجب عليهم استثمار مختلف الموارد والأدوات الممكنة لأجل التمكن من تدريب المتعلمين على أكبر قدر من هذه المهارات، سواء من خلال استثمار المناهج الدراسية والممارسة الصفية، أم من خلال الأنشطة الموازية والأندية التربوية.

إذن كيف يكمن استثمار أنشطة الحياة المدرسية عامة والمسرح المدرسي خاصة للتدريب على المهارات الحياتية؟ وما هي أهم المهارات التي يمكن التدريب عليها من خلالها؟

[1] - تحليل اليونيسيف، ص 3.

II. من الحياة المدرسية إلى المهارات الحياتية

إن ما سبق الوقوف عنده من أبعاد خاصة بمفهوم المهارات الحياتية يحيلنا بشكل تلقائي على مفهوم الحياة المدرسية، هذه الأخيرة التي يقصد بها «الحياة التي يعيشها المتعلمون في جميع الأوقات والأماكن المدرسية (...) قصد تربيتهم باعتماد جميع الأنشطة الدينية والتربوية والتكوينية المبرمجة، ولاسيما التي تراعي الجوانب المعرفية والوجدانية والحس حركية من شخصياتهم»[1]، وهو الأمر الذي يجعل منها مجتمعا مصغرا يستعد من خلاله المتعلم للاندماج في المجتمع الخارجي، ويتدرب على مختلف المهارات المساعدة على ذلك.

تهدف الحياة المدرسية إلى بناء شخصية المتعلم عبر تنظيم أنشطة تربوية متنوعة تسهم في ترسيخ القيم وتنمية المهارات، وذلك من خلال إشراك جميع الفاعلين في المجتمع، بما في ذلك المتعلمين، المدرسين، الآباء، والإداريين، حيث يسهم كل واحد منهم في تحقيق أهداف التربية من خلال تنويع الأنشطة وأساليب التدريس واعتماد إدارة فعالة وتعاون متبادل، لأجل تحقيق بيئة تعليمية متميزة تقوم على الشمولية والتفاعل والحيوية والمرونة[2].

وقد نبه دليل الحياة المدرسية في صيغته الجديدة إلى أن الأهمية التي تحظى بها هذه الأخيرة تفرض عليها الارتكاز على عدة مقومات تتمثل في احترام الآخر وحرية التعبير، وتعزيز التفكير النقدي والقدرة على الفهم والتحليل، وتكريس التربية على الممارسة الديمقراطية النهج الحداثي، وضمان النمو العقلي والوجداني والحركي المتوازن، وتطوير الكفايات والمهارات، والقدرة على بناء المشروع الشخصي، وتكريس السلوكيات الإيجابية والتحلي بالأخلاق الحميدة، وإتاحة الفرصة للمتعلمين للاستمتاع بحياة التلمذة والطفولة والمراهقة من خلال المشاركة الفعالة في الحياة المدرسية، وتحرير مواهبهم وطاقاتهم الإبداعية في مختلف الأنشطة الثقافية والفنية والعلمية والرياضية[3].

من الواضح أن الإطار العام للحياة المدرسية يحتوي في طياته على مختلف المهارات الحياتية، وهو ما يتضح أكثر عندما نجد أن دليل 2019 يخصص محورا مستقلا للمهارات الحياتية ضمن الفصل الخاص بطرائق ومقاربات الحياة المدرسية، حيث يعرفها باعتبارها مجموعة من «القدرات

[1]. دليل الحياة المدرسية، مديرية الحياة المدرسية، دجنبر 2019، ص 9.
https://www.docdroid.net/eDeavdP/dlyl-alhya-almdrsy-2020-pdf#page=6

[2]. ينظر: نفسه، ص 9.

[3]. ينظر: نفسه، ص 10.

والكفايات المرتبطة بحياة الشباب والمراهقين، في شكل منهج متكامل لبناء وتصحيح توجهاتهم السليمة (...) وهي أيضا السلوكيات والقدرات الشخصية والاجتماعية اللازمة التي يجب على المرء أن يمتلكها للتعامل بثقة أكبر واقتدار مع نفسه والآخرين والمجتمع»[1].

إن التعريف السابق يبرز أن دليل الحياة المدرسية يخدم بشكل واضح مبادرة تعليم المهارات الحياتية في المغرب، حيث وجدنا أن الأهداف والمقومات التي حددها للحياة المدرسية عامة، تتقاطع بشكل كبير مع الأهداف التي حددها للمهارات الحياتية خاصة[2]، وبالتالي فهما وجهان لعملة واحدة يتم استثمارها في كل ما من شأنه أن يخدم المتعلم ويجعله مؤهلا للحياة الاجتماعية والمهنية والشخصية.

III. المسرح المدرسي: من التجسيد الفني إلى التدريب المهاراتي

يعتبر المسرح من الأنشطة الفنية التربوية الأساسية التي يتم التنبيه إلى أهميتها في دليل الحياة المدرسية، سواء في صغته السابقة "2008" أم في صيغته الحالية "2019"، حيث تمت الإشارة إليه بشكل سريع في الأول عند الحديث عن أهم أنواع أنشطة الحياة المدرسية[3]، وفي الثاني بشكل خاص ومباشر عند التعريف بأهم الأنشطة التربوية الممكنة في الوسط المدرسي، وتحديد دورها في تكوين شخصية المتعلمين.

إن المسرح في مفهومه العام يدل على فن من فنون الأداء والتشخيص يعبر عن مجموعة من الأحداث من خلال التمثيل الحي والمباشر أمام جمهور باستخدام مهارات التمثيل والمحاكاة واللغة والحركة، إضافة إلى الديكور والإضاءة والموسيقى[4]. ويُعتبر المسرح من أقدم الفنون في العالم، عرف تحولات كثيرة إلى أن وصل إلى شكله الحالي، ولعل حضوره العريق في التاريخ الأدبي أكبر دليل على أهمية وحاجة الإنسان إليه، سواء منذ المسرح البدائي القائم على البحث عن أسرار الحياة وإعادة تجسيد الأساطير وفهمها لأجل تحرير الإنسان من قوى الكبت الغامضة، أم المسرح

---

[1]. دليل الحياة المدرسية، مديرية الحياة المدرسية، دجنبر 2019، ص 43.

[2]. ينظر: نفسه، ص 46.

[3]. ينظر: دليل الحياة المدرسية، مديرية الحياة المدرسية، غشت 2008، ص 44.

https://ampei.ma/wp-content/uploads/2021/02/%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%BA%D8%B4%D8%AA-2008.pdf

[4]. ينظر: ماري إلياس، مفهوم المسرحة، مجلة نزوى، عمان، ع 56، أكتوبر 2008، ص 136. 139.

اليوناني القائم على تمجيد الإنسان وتحرير قدراته لمساءلة الواقع والمشاركة في الوصول إلى الحقيقة[1].

ولعل العلاقة الوطيدة بين هذا الفن والحياة الاجتماعية، هو ما يعطيه قيمة تربوية ودورا مهما في بناء شخصية المتعلم، لأنه يقوم على إشراك هذا الأخير وجعله ناقلا للقيم ومجسدا لها، ويساعده على اختبار الحياة ومحاكاة وضعيات إنسانية متعددة، وهو ما تنبه إليه بشكل ضمني مبادرة تعليم المهارات الحياتية عندما تؤكد على أن أكثر الطرق فعالية في تعليم المهارات الحياتية هي «مشاركة الأطفال والشباب وتعاونهم وممارسة المهارات الحياتية بمحاكاة الأنشطة في العالم الواقعي»[2].

إن مفهوم المحاكاة الوارد في التعريف السابق يعتبر عنصرا ضروريا في المسرح، حيث يتحقق من طرف المحاكي إما «بأن يستخدم السرد في جزء، وفي جزء آخر يتقمص شخصية أخرى غير شخصيته، ثم يروي القول على لسانها، وإما يتكلم بلسانه هو، دون إحداث مثل هذا التغيير، وإما يعرض الشخصيات، وهي تؤدي كل أفعالها أداء دراميا»[3]، أي أن الممارسة المسرحية يمكنها أن تساعد على تعلم مختلف المهارات الممكنة من خلال التجسيد المباشر للموضوعات والقضايا في المسرحيات المدرسية.

انطلاقا من الإشارات السابقة يجب التنبيه إلى أن المسرح المدرسي يعتبر امتدادا للمسرح ويوظف مختلف تقنياته وعناصره داخل الفضاء التربوي لتحقيق أهداف تربوية، لهذا عرفه دليل الحياة المدرسية باعتباره «مسرحا تربويا تعليميا تعلميا ومكونا من مكونات وحدة التربية الفنية الجمالية وأنشطة التفتح، كما يعتبر فنا متعدد الإمكانات يساعد على خدمة ميولات الطفل ويسهم في صقل مواهبه، ويشجعه على الإبداع الفني، ويدفعه بالتالي إلى الاندماج في مجتمعه الصغير بالمدرسة ومجتمعه الكبير خارجها»[4].

يتضح أن المسرح المدرسي يهدف إلى مساعدة المتعلم على اكتساب مهارات الحياة التي يحتاجه داخل مجتمعه، فهو مجتمع مصغر داخل مجتمع المدرسة الذي يعتبر هو الآخر جزءا من المجتمع الخارجي. وهو ما حاولنا تتبعه والتأكد منه من خلال حالة مجموعة من التلاميذ

[1]. ينظر: إدوار الخراط، فجر المسرح: دراسة في نشأة المسرح، دار البستاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.ص 59. 180.

[2]. اليونيسف، قياس المهارات الحياتية في سياق تعليم المهارات الحياتية والمواطنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ص 7.

[3]. أرسطو: فن الشعر، ترجمة ابراهيم حمادة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1982، ص 72.

[4]. دليل الحياة المدرسية، مديرية الحياة المدرسية، دجنبر 2019، ص 40.

المنخرطين في نادي الإبداع والمسرح بالثانوية التأهيلية الطاهر بن جلون بمديرية سيدي قاسم، حيث لاحظنا في بداية الحصص الأولى من التدريب المسرحي أنهم يفتقرون لمجموعة من المهارات الحياتية، خاصة التواصل وقبول الآخر والتفكير النقدي وتقدير الذات وحل المشكلات والانضباط الزمني والسلوكي..، ولكن بعد توالي الحصص التدريبية واستثمار مختلف تقنيات المسرح وجدنا أنا هناك تطورا واضحا في مهاراتهم، وذلك على النحو الآتي:

استطاعوا التدرب على التواصل الإيجابي والفعال، وذلك أثناء التدريبات والحوارات المسرحية مع بعضهم البعض، وتعلموا كيفية التعبير عن أنفسهم بوضوح، سواءً بالكلمات أم بلغة الجسد، بالإضافة إلى الإنصات والاستماع الجيد، مما ساعدهم على تحسين مهارات الاستماع وفهم الآخرين.

وتدربوا أيضا على العمل الجماعي والتعاون، لأن العرض المسرحي يفرض عليهم التعاون مع الممثلين الآخرين، وفهم الأدوار المختلفة في العرض، والوعي بأهمية كل فرد من أفراده في تحقيق النجاح، وبالتالي اكتسوا مهارات التنسيق والعمل المشترك، والقدرة على حل النزاعات وتجاوز الخلافات الممكنة بينهم حول الأدوار المسرحية والمشاهد.

وقد ساعدهم المسرح أيضا على تنمية مهارة الابتكار والإبداع والتفكير النقدي والتحليلي؛ لأنه كان يتعين عليهم فهم النصوص المسرحية بشكل عميق، وتفسير الشخصيات والأحداث، ومناقشة القضايا المطروحة والتمييز بينها، والتعبير عن الأفكار والمشاعر بأساليب فنية مختلفة، بالإضافة إلى أنهم اكتبوا القدرة على حل المشكلات الناتجة عن التغييرات في النص والمشاهد والأدوار أو عن التوتر والارتباك. وكلما استطاعوا حل المشكلات أثناء التدريب أو على الخشبة أمام الجمهور كلما كانت تزيد ثقتهم بنفسهم وتقديرهم لذواتهم.

إن التمثيل على الخشبة أسهم في تنمية الذكاء العاطفي لديهم وتدربوا على كيفية فهم مشاعرهم ومشاعر الآخرين، سواء المرفوض منها مثل الخوف، الغضب، والحزن، والقلق، أم المحبوب منها مثل السعادة والفرح والحب. وإضافة إلى كل ما سبق لاحظنا أن المسرح قد مكنهم من تعلم الانضباط والالتزام، وحسن تدبير الزمن والوعي بأهميته.

وإضافة إلى ما سبق استطاعوا فهم الذات والرفع من قيمتها، وتمكنوا من الوعي بأهمية الوطن والاعتزاز بالانتماء إليه، والدفاع عن الهوية الوطنية باعتبارها من الأسس التي ترفع مكانة الفرد وتزيد من قيمته الاجتماعية والإنسانية والكونية.

إذن، نستنتج أن المسرح المدرسي يعد أداة فعالة في تعليم المهارات الحياتية. فهو لا يُسهم فقط في تطوير مهارات التواصل، العمل الجماعي، والابتكار داخل المدرسة، بل يعزز أيضًا التفاعل الاجتماعي ويُسهم في بناء شخصية المتعلم بشكل شامل، مما يجعله مؤهلاً لمواجهة تحديات الحياة الشخصية والمهنية بفعالية أكبر.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أحمد اللقانى، على الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 2003.
- أبراهيم الخلوف الملكاوي، إدارة المعرفة: الممارسة والمفاهيم، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2007.
- اليونيسف، الملخص التنفيذي لقياس المهارات الحياتية في سياق تعليم المهارات الحياتية والمواطنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

https://www.unicef.org/mena/media/7021/file/Arabic_4%20Pager_OL.pdf%20.pdf

- اليونيسف، قياس المهارات الحياتية في سياق تعليم المهارات الحياتية والمواطنة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

https://www.unicef.org/mena/media/10621/file/LSCE%20report%20arabic%2011-1-2021.pdf%20.pdf

- دليل الحياة المدرسية، مديرية الحياة المدرسية، دجنبر 2019.
- دليل الحياة المدرسية، مديرية الحياة المدرسية، غشت 2008.
- ماري إلياس، مفهوم المسرحة، مجلة نزوى، عمان، ع 56، أكتوبر 2008.
- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 1999.
- إدوار الخراط، فجر المسرح: دراسة في نشأة المسرح، دار البستاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
- أرسطو: فن الشعر، ترجمة ابراهيم حمادة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1982.

سؤال القيم في المنهجية المعتمدة في "درس المؤلفات" بالجذع المشترك: رواية "المباءة" نموذجا

د. الحسين بلا
الأكاديمية الجهوية لتربية والتكوين لجهة سوس ماسة
المغرب

ملخص:

تأتي هذه الورقة في سياق تهميش البعد القيمي لصالح البعد المعرفي، فعدم بروز هذا الجانب في الفصول الدراسية، في ظل التطور التكنولوجي وتخلي الأسرة عن وظيفتها التربوية، أمر يهدد المجتمع بالفساد والدمار. واكتساب القيم أمر مهم لصلاح المجتمع وتخليصه من الأخلاق الفاسدة، والتربية على القيم خطوة مهمة لتحقيق هذه الغاية، ويبدأ هذا الاكتساب في مرحلة التعليم الابتدائي ويتعزز في الثانوي الإعدادي ليتوطد في مرحلة الثانوي التأهيلي. لهذا يهدف هذا المقال إلى مدّ جسر يربط التربية على القيم بتدريس مكون من مكونات منهاج اللغة العربية، وهو مكون المؤلفات السردية، وهي تربية تتجه بلا شك نحو السلوكات، وتكوين قناعات ذاتية إيجابية إزاءها، وهو بعد هُمش في منهجية تدريس المؤلفات لصالح البعد التحليلي التقني.

كلمات مفتاحية: التربية على القيم ـ المؤلف السردي ـ الجذع المشترك.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بلا، الحسين. (2024، أكتوبر). سؤال القيم في المنهجية المعتمدة في درس المؤلفات لمستوى الجذع المشترك (الآداب والعلوم الإنسانية) ـ رواية المباءة نموذجا ـ مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 7، السنة الأولى، ص 756-773.

Abstract:

This paper comes in the context of marginalizing the value dimension in favor of the cognitive dimension. The lack of prominence of this aspect in the classroom, in light of technological development and the family abandoning its educational function, threatens society with corruption and destruction. Acquiring values is important for the well-being of society and ridding it of corrupt morals, and education on values is an important step towards achieving this goal. This acquisition begins in the primary education stage and is strengthened in the preparatory secondary stage until it is consolidated in the rehabilitative secondary stage. Therefore, this article aims to extend a bridge linking education on values with teaching one of the components of the Arabic language curriculum, which is the component of narrative writings, which is an education that is undoubtedly directed towards behaviors and the formation of positive self-convictions regarding them, which is a marginal dimension in the methodology of teaching writings in favor of the technical analytical dimension.

Keywords : Education on values - narrative author - common trunk.

مقدمة

يتخذ هذا المقال من موضوع القيم التربوية وعلاقتها بتدريس مكون المؤلفات السردية موضوعا له، وما يؤكد أهمية هذا الموضوع أن الأمر يتعلق بالعملية التعليمية التعلمية داخل الفصل الدراسي، والأنشطة المرتبطة بها، وقد اخترت للاشتغال رواية "المباءة" لمحمد عز الدين التازي، المقررة في التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب، وبالتحديد مستوى الجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية، وقد أفرزت طبيعة المقال الذي اعتمد البحث والاستقصاء والتحليل، خطة تشتمل خمسة عناوين رئيسية، يتضمن اثنين منها محاور فرعية، وقد حاولت في هذا البحث الإجابة عن جملة من الإشكالات، وتقديم عدة اقتراحات تخص إدماج التربية على القيم في تدريس المؤلفات السردية، ومن أهم الإشكالات :

- أهمية القيم التربوية، ومدى انسجامها مع الواقع الخارجي للمتعلم وحاجياته ورغباته.

- سؤال حضور أو غياب القيم التربوية في تدريسية المؤلفات السردية.

- الإجراءات الديداكتيكية التي يمكن الأخذ بها في الحصص الدراسية للغة العربية، في المستوى والمكون الدراسي المحدد، وهو الجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية، من أجل تجاوز الاختلالات الموجودة في جانب القيم المختلفة.

المحور الأول: مفهوم القيم و أنواعها وأهميتها

أولا. مفهوم القيمة في اللغة والاصطلاح:

مفهوم القيم هو من المفاهيم التي انتقلت من مجال المال والاقتصاد إلى الفلسفة التي خصصت لها مبحثا سمته بـ"الأكسيولوجيا"، وربطت فيه القيم بالخير والحق والجمال [1].

والقيم في اللغة جمع قيمة، وهي من الجذر اللغوي "ق و م"، "و قام الشيء، واستقام: اعتدل واستوى " [2]، ويعني أيضا انتصب، كما "ترتبط هذه القيمة حكما وتقييما بالأفعال البشرية والتصرفات الإنسانية بشكل ذاتي وموضوعي " [3].

---

[1]. جميل الحمداوي. مقال "منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب"، نشر في 23 مايو 2008، موقع ديوان العرب، الأربعاء 11 يونيو 2014.

[2]. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي "المحكم والمحيط الأعظم"، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى. 2000م، ج 6 / ص 590.

[3]. مقال "منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب".

وقد حضيت القيم باهتمام الباحثين، وقد عرف ميلتون روكتش القيمة بأنها "عبارة عن اعتقاد يحضى بالدوام، ويعبر عن تفضيل شخصي أو اجتماعي لغاية من غايات الوجود الإنساني، وليس لنمط سلوكي أو غاية أخرى مختلفة " [1].

أما كلو كوهون فيعرفها بأنها "مفهوم مرغوب قد يكون معبرا عنه أو خفي يميز فردا أو مجموعة من الأفراد، ويؤثر على اختيار الوسائل والغايات انطلاقا من الأساليب الممكنة " [2].

ويعرف الدكتور خالد الصمدي القيم بأنها "معايير عقلية من حيث كونها مبنية على فكر واقتناع وليس على الإجبار والقهر، وهي وجدانية باعتبار المحل فتتغذى منه فيتحفز إليها الإنسان بوجدانه، والقيم تمكن صاحبها من الاختيار الواعي لنشاط إنساني بإرادة حرة " [3].

وبناء على ذلك، فالقيم تمثل السلوكات المقبولة لدى الفرد، لذلك فهي قواعد للسلوك التربوي، وإطار مرجعي للسلوك الخارجي للفرد، ومساعد للإنسان على بناء حياته، وتكوين علاقاته، وتطوير مجتمعه.

ثانيا. أنواع القيم:

تصنف القيم بناء على اعتبارات وأسس مختلفة، فيمكن تصنيفها بحسب المضمون أو الهدف أو خصائصها من حيث الثبات والتغير، وسيقتصر الحديث على أهم هذه التصنيفات.

حيث صنف خالد الصمدي القيم إلى أربعة أصناف [4]:

- القيم الذاتية: وهي الاقتناعات الفردية للشخص التي تضبط علاقته بخالقه وبنفسه، مثل قيمة: الإيمان والتقوى والخوف من الله والخشوع.

- القيم الاجتماعية: وهي القيم التي تطبع سلوك الفرد في علاقاته العامة، ولا يتصور وجودها إلا من خلال التفاعل مع الغير، ومن ذلك قيم الصبر، والكرم، والعفو، والرحمة، والصدق، والحب، والأمانة، وغيرها من القيم التي تنبغي أن تطبع السلوك الجمعي.

---

[1]. محمد الدريج " التدريس الهادف، 1. مساهمة في التأسيس العلمي لنموذج التدريس بالأهداف التربوية"، من إصدارات كلية علوم التربية. جامعة محمد الخامس الرباط. 1991م، ص 153.

[2]. محمد أوزي "المعجم الموسوعي لعلوم التربية"، مطبعة النجاح. الدار البيضاء، الطبعة الأولى. 2006م. ص 252.

[3]. خالد الصمدي "القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها"، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. 2008م، ص 18.

[4]. نفسه، ص 38. 39.

- القيم الوطنية: وهي القيم التي تتسع دائرتها لتتجاوز العلاقات الاجتماعية إلى الإحساس بالقواسم المشتركة التي تجمع الجماعات المتباعدة، وتتجلى هذه القواسم المعنوية المشتركة في اللغة والدين والانتماء العرقي والرصيد التاريخي والانتماء الجغرافي، ومن ذلك قيم: حب الوطن . الافتخار بالمقومات الحضارية للأمة، والغيرة على اللغة والدين.

- القيم الإنسانية: هي القيم التي تتجاوز العلاقات الاجتماعية والخصوصيات الحضارية لشعب من الشعوب لتنفتح عل البعد الكوني، ويشترك فيها كل الناس بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية والحضارية، كالعدل والمساواة والتسامح والسلم.

وقد تقسم إلى فئات [1] :

- القيم الخاصة: وهي تندرج ضمن الصفات الأساسية للفرد، كالصدق والفضيلة.

- القيم الاجتماعية: وهي ترتبط بحقوق الجماعات والمجتمع، كالمساواة، والحرية.

- القيم السياسية: وهي تتمحور حول القناعات بشأن أفضل طرق تدبير وتسيير البلاد، مثل الديمقراطية والمشاركة والمسؤولية المدنية.

- القيم الاقتصادية: وهي التي تدخل ضمن الجانب الاقتصادي، مثل حق الملكية والمنافسة.

- القيم الدينية والعقائدية: وهي تشمل جانبا روحيا يتمثل في الإيمان والعبادات.

ثالثا. أهمية القيم في التربية:

لا شك بأن التربية، ككل، تواجه اليوم في كثير من المجتمعات والشعوب تحديات خطيرة، أخطرها ما يرتبط بالعولمة، وما يرافقها من مشكلات اقتصادية وثقافية، واجتماعية، وفكرية.

أما التربية على القيم فتجد تفسيرها وأهميتها في السياقات التربوية، وفي الأدوار التي تضطلع عليها في المدرسة المغربية، وهي أدوار تتوسع وتغتني بسبب التغييرات السياسية والاجتماعية في زمن يشهد انفجارا معرفيا هائلا، وكان نتيجة ذلك تقوي ظواهر و بروز أخرى، كتصاعد حدة العنف والتطرف والكراهية والتعصب، وارتفاع معدلات البطالة، وتردي القيم الأخلاقية وغير ذلك.

[1] . عبد الكريم غريب "مستجدات التربية والتكوين"، منشورات عالم التربية، ص 391.

فالمدرسة ليست جزيرة نائية أو قرية معزولة عن محيطها، بل هي مؤسسة مؤثِّرة في المجتمع، ومتأثِّرة بما يجري حولها، لذلك أصبحت القيم ذات دور ضروري في الحفاظ على المجتمع وتماسكه، بحيث يندمج فيه الأفراد بشكل إيجابي، وتنتشر فيه قيم الفضيلة والعدل وغيرها، "وبالتالي فإن أي اختلال يصيب القيم ينعكس حتما على السلامة المأمولة للأفراد وللمجتمع بصفة عامة "[1].

وقد أكد على أن النظام التربوي بالمغرب يجب أن يتأصل في التراث الحضاري والثقافي بتنوع روافده، فيستهدف بما يحمله من قيم خلقية وثقافية ضمان إشعاع متواصل [2].

وهو نظام يستمد هذه القيم من مبادئ العقيدة الإسلامية، وحب الوطن، والتمسك بالمَلكية الدستورية، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية العالمية [3].

المحور الثاني: مكانة القيم في المرجعيات التربوية والإصلاحات بالمغرب

في مطلع الألفية الثالثة تبنت الدولة في ظل الظروف السابقة، بالإضافة إلى تردي الوضع التربوي التعليمي في بلادنا، نهجا تربويا حديثا كانت ثمرته الأولى التوافق بتوجيهات ملكية سامية على ميثاق وطني منظم ومؤطر للتربية والتكوين، وقد احتلت فيه القيم مكانة خاصة، حيث يؤكد هذا الميثاق بشكل واضح على أن نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية يهتدي "بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة...، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع." [4].

وبالرجوع إلى الميثاق الوطني للتربية والتكوين تتضح لنا الأهمية الكبر ى والمكانة المهمة التي تشغلها التربية على القيم في التعليم، ولعل لتلك المكانة دورها في جعل التربية تحتل بداية القسم الأول في نص الميثاق، وهو القسم الذي يتضح من خلاله أن الميثاق يسعى إلى بناء تصور متكامل لغايات المنظومة التربوية، وذلك من خلال الاهتداء بمبادئ العقيدة الإسلامية والالتحام بالكيان العريق للمملكة "القائم على ثوابت ومقدسات يجليها الإيمان بالله وحب الوطن والتمسك بالملكية

[1]. عبد الكريم غريب "مستجدات التربية والتكوين"، مرجع سابق، ص 382.

[2]. "الميثاق الوطني للتربية والتكوين" عن اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين. وزارة التربية الوطنية، ص 9.

[3]. "الكتاب الأبيض" ج 1 (الاختيارات والتوجيهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة المناهج التربوية) عن لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية. وزارة التربية الوطنية، ص11.

[4]. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص 9.

الدستورية "[1]، والتشبع "بالرغبة في المشاركة الإيجابية في الشأن العام والخاص، وهم واعون أتم الوعي بواجباتهم وحقوقهم، متمكنون من التواصل باللغة العربية، لغة البلاد الرسمية، تعبيرا وكتابة، منفتحون على اللغات الأكثر انتشارا في العالم، متشبعون بروح الحوار، وقبول الاختلاف، وتبني الممارسة الديمقراطية في ظل دولة الحق والقانون." [2].

ولقد نادى الميثاق بجعل التربية على القيم الديمقراطية والمواطنة الفاعلة، وفضائل السلوك المدني، خيارا استراتيجيا لا محيد عنه [3].

وبناء على ما سبق فقد حدد الميثاق الوطني للتربية والتكوين أربع ركائز للقيم هي :

- قيم العقيدة الإسلامية.

- قيم الهوية الحضارية.

- قيم المواطنة.

- قيم حقوق الإنسان.

وبعد سنتين تقريبا أكد الكتاب الأبيض، وخاصة في جزئه الأول عل أهمية تلك القيم على اعتبار أن نظام التربية والتكوين يخضع " للحاجات المتجددة للمجتمع المغربي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من جهة، وللحاجات الشخصية الدينية والروحية للمتعلمين من جهة أخرى " [4].

ويشكل الكتاب الأبيض تكملة وتوسعة لما ورد في الميثاق الوطني من الكفايات والقيم المستهدفة والتوجهات العامة لمنظومة التربية والتكوين الجديدة، وقد اعتمد فيه على ثلاثة مداخل تستهدف مراجعة مناهج التربية والتكوين، وتفعيل مجموعة من الاختيارات والأهداف والمرامي، وهذه المداخل هي [5]:

- التربية على القيم.

---

[1]. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص 7.

[2]. نفسه، وعينها.

[3]. "رؤية استراتيجية للإصلاح 2015. 2030" عن المجلس الأعلى للتربية والتكوين، ص 55.

[4]. "الكتاب الأبيض" ج 1. ص11.

[5]. نفسه وعينه، ص 11.

- تطوير الكفايات التربوية.

- التربية على الاختيار.

وانطلاقا من القيم التي وردت في الميثاق الوطني، ذكر الكتابُ الأبيض الغايات العامة المتوخاة، إضافة إلى الأهداف والحاجيات الخاصة المرتبطة بالمتعلمين [1]، أهمها [2]:

- ترسيخ الهوية المغربية الحضارية.

- تكريس حب الوطن، وتعزيز الرغبة في خدمته.

- التشبع بروح الحوار، والتسامح، وقبو ل الاختلاف.

ونجد لهذه القيم والمقاييس الاجتماعية حضورا ضمن مواصفات التلاميذ في كل الأسلاك والأقطاب التعليمية [3]، فمن المواصفات المرتبطة بالقيم والمقاييس الاجتماعية في نهاية التعليم الابتدائي، مثلا، نجد جعل المتعلم:

- متشبثا بالقيم الدينية والخلقية والوطنية والإنسانية.

- متشبعا بروح التضامن والتسامح والنزاهة [4].

والملاحظ بأننا نجد تحديدا دقيقا وتفصيليا للقيم والمواصفات الاجتماعية المتوخاة في المتعلمين إلى غاية نهاية السلك الثانوي، والشأن نفسه نجده في "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي " [5]، حيث نجد بأنه لم يبدل الجهد لتنزيل القيم والأهداف الوجدانية بشكل يجعلها قابلة للملاحظة والمراقبة والضبط، فقد صيغت هذه الأهداف بشكل عام ومجرد.

وفي إطار تفعيل الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والنهوض بالمنظومة التربوية في بلادنا أصدرت وزارة التربية الوطنية مذكرات تنظيمية، سعت إلى تقوية وتطوير مختلف المداخل

---

[1] .نفسه وعينه، ص 11. 12.

[2] .نفسه وعينه، ص 12.

[3] .نفسه وعينه، ص 21. 25. 29.

[4] .نفسه وعينه، ص 21.

[5] "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي " عن مديرية المناهج .وزارة التربية الوطنية، 2007 نونبر .الرباط، ص 5.

والاختيارات، ومنها مدخل التربية على القيم، وهذه بعض المذكرات التي تصب في هذا الجانب القيمي:

- المذكرة الوزارية رقم 117 الصادرة بتاريخ 25 أكتوبر 2002م، وذلك في موضوع "تعميم منهاج التربية على حقوق الإنسان"، وتؤكد على أن كفاية حقوق الإنسان هي من ضمن الكفايات الأساسية الهامة التي ينبغي تحقيقها في الدروس.

- المذكرة الوزارية رقم 87 الصادرة بتاريخ 20 يوليوز 2004م، والتي تدعو إلى تفعيل أدوار الحياة المدرسية من خلال توجهات أولها تثبيت القيم الأساسية لدى التلميذ.

- المذكرة رقم 88 المتعلقة بإرساء هياكل مرصد القيم، وهي مذكرة موجهة إلى مديري الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين، من أجل إدماج المبادئ والقيم في المناهج التربوية والتكوينية.

ولقد نصت الرؤية الاستراتيجية 2015.2030، في الرافعة الثامنة عشر على ضرورة "ترسيخ مجتمع المواطنة والديمقراطية والمساواة" على مدخل القيم، وقد سجل بأنه رغم الاهتمام الذي أولته المدرسة المغربية للقيم وحقوق الإنسان والمواطنة، استمرت السلوكات السلبية في الانتشار، كالغش والعنف والإضرار بالبيئة، وبالملك العام داخل المؤسسات التعليمية ومحيطها [1].

المحور الثالث: أهمية القيم في منهاج اللغة العربية للجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية

يقول صاحب الجلالة:

"إن غايتنا تكوين مواطن صالح، قادر على اكتساب المعارف والمهارات مشبع في نفس الوقت بهويته التي تجعله فخورا بانتمائه، مدركا لحقوقه وواجباته، عارفا بالشأن المحلي والتزاماته الوطنية... " [2].

[1]. "رؤية استراتيجية للإصلاح 2015.2030"، ص 55.

[2]. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، مقتطفات من الخطاب السامي في بداية الميثاق.

وتعتبر مكونات منهاج اللغة العربية مجالا خصبا لتفعيل وتعزيز الاختيارات والتوجيهات التربوية المرتبطة بالقيم، من خلال استدماجها وترسيخها في نفوس المتعلمين فكرا ومعرفة وممارسة عبر نصوص ووضعيات حقيقية أو مستمدة من واقع الحياة اليومية للمتعلمين [1].

وإذا كان المنهاج الدراسي للغة العربية، ركز على مبدا أساسي وهو تنزيل وترجمة المرامي والأهداف الكبرى والعامة إلى سلوكات قابلة للملاحظة، ومن ضمن هذه الأهداف نجد أهدافا ذات طبيعة قيمية سلوكية، مثل [2]:

- تعزيز قيم الثقة بالنفس، وقيم التفتح واحترام الآخر.

- تعزيز قيم الانتماء الوطني، مع الانفتاح على القيم الإنسانية الإيجابية (الحرية . الديمقراطية . حقوق الإنسان).

- تعزيز المواقف والميول الإيجابية.

فإنه على المستوى الديداكتيكي يتم تهميش هذا الجانب لصالح المجال المعرفي والعقلي، بمعنى أن طرق التدريس تولي أهمية قصوى للجانب المعرفي أكثر من الجانب القيمي، وتهدف تزويد التلاميذ بالمنهجيات والمنظورات القرائية أكثر من الاعتناء بتكوين المواقف والاتجاهات، وهذا يتناقض مع الأهداف التربوية والتعليمية لبلادنا، والتي أكد صاحب الجلالة في خطابه السامي، وهو الخطاب الذي يمكن اعتباره انطلاقة لبداية الإصلاحات التربوية الجادة في بلادنا في الألفية الثالثة.

حيث نجد في منهاج اللغة العربية بالثانوي التأهيلي، حديثا عن كفايات تمثل قيما [3]، وتهدف إلى تعزيز قيم الحرية والمساواة وحقوق الطفل وحقوق المرأة والتفتح والحوار والتسامح لدى المتعلم عن طريق استثمار الحمولات التي تزخر بها النصوص القرائية المختارة.

إضافة إلى تعميق تجربة التلميذ بالاستفادة من التجارب الإنسانية المتنوعة التي تتضمنها النصوص الحكائية أو الحجاجية أو الشعرية العمودية والحديثة، وتقوية روح الانفتاح، وتعزيز القدرة على المبادرة الذاتية والجرأة على اتخاذ القرار والموقف.

---

[1]. عبد الرحمان التومي "الجامع في ديداكتيك اللغة العربية مفاهيم، منهجيات ومقاربات بيداغوجية"، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط، الطبعة الثانية. 2016، ص 76.

[2]. "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي "، ص 15.

[3]. كتاب " النجاح في اللغة العربية. الجذع المشترك للتعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية" مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. طبعة 2017، ص 5. 55. 91. 131.

ويمكن تقسيم هذه القيم إلى: قيم عالمية خاصة، مثل الحرية والمساواة، وحقوق عامة مثل حقوق المرأة والطفل، و مهارات حياتية، مثل التفتح والحوار .

المحور الرابع: حضور القيم في تدريس المؤلفات في مستوى الجذع المشترك الأدبي من خلال رواية "المباءة"

أولا. سؤال القيم ضمن منهجية تدريس المؤلفات في التوجيهات الرسمية

ترتكز منهجية تدريس المؤلف السردي في الثانوي التأهيلي، ومنه مستوى الجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية، على الشمولية في القراءة، والبعد الاستقصائي في الدراسة، وهي لذلك تغلب الجانب المنهجي المرتبط بالخطوات المنهجية وما تنتجه من معارف، وتقصي الأبعاد القيمية المختلفة.

ولعل ما جعل هذا الدرس يحضر في المنهاج الدراسي ارتباطه وأهميته في حياة المتعلمين، حيث يمكنهم من الوعي بالعالم، وبالدوافع المحركة للتاريخ والبشرية من خلال تعرفهم على نماذج إنسانية مختلفة، وبذلك فهو يحمل المتعلم على الاستقلال بشخصيته، ومن أدواره التربوية أيضا إغناء وإثراء معجمه اللغوي، وزيادة تبصره بطرق التعبير والإبداع والإنتاج عن الذات والمحيط [1].

ويقوم تدريس المؤلفات السردية في التوجيهات الرسمية على أدوار بيداغوجية وأسس ديداكتيكية، ذلك لأن تدريسها يسعى "إلى تمكين المتعلمين من قراءة المؤلفات الكاملة، واكتساب الآليات المنهجية للقراءة الذاتية التي تتجاوز الانطباعات العامة، لتبلغ مستوى القراءة النقدية المُسائلة"[2]، و "تنمية الكفاية القرائية وتنمية المكتسبات المهارية القبلية وتعزيزها"[3].

وأما عن منهجية تدريس هذا المكون فتنبني عل مقترحات فيالا وشميت في كتابهما القيم "Savoir lire" (معرفة القراءة) 4، وتقوم على مراحل:

المرحلة التوجيهية: ويتم فيها تقديم المؤلف بالوقوف عند نوعه الأدبي، والتعريف بصاحبه مع الاقتصار عل ما له علاقة وظيفية بالمؤلَّف، و دواعي كتابته.

---

[1]. مجموعة من الأساتذة "القراءة المنهجية للمؤلفات الروائية بالتعليم الثانوي التأهيلي. الجذع المشترك"، الطبعة الأولى. 2006م، ص 4.3.

[2]. "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي "، ص 20.

[3]. نفسه، ص 34.

[4]. عبد الرحيم كلموني "مدخل إلى القراءة المنهجية للنصوص من أجل كفايات قرائية بالتعليم الثانوي"، منشورات صدى التضامن. طبعة 2006م، ص 107 . 108.

المرحلة التحليلية: وتقوم على الاشتغال بالمنظورات الستة : تتبع الحدث . القوى الفاعلة . البعد النفسي . البعد الاجتماعي والتاريخي . الأسلوب . البنية.

المرحلة التركيبية: وترتكز عل توظيف مهارتي التركيب والتقويم، أي النظر إلى مكونات العمل السردي ككل وقيمته الأدبية، وإصدار الحكم النقدي العام عليه.

والملاحظ أن هذه الخطوات والمراحل تغلب الجانب التقني التحليلي، ولا يحضر فيها المتعلم إلا كمحلل متفاعل، في حين يغيب الجانب الانفعالي التأثري الذي يشكل نفسية المتعلم، وقناعاته التي، من المتوقع، أن يخرج بها إلى العالم الخارجي.

وقد أشار تزفيطان طودوروف إلى طغيان هذا الجانب التقني على الجانب القيمي المرتبط بفهم الإنسان والعالم في التعليم الثانوي[1]، لأن هذا الأخير مطالب بتدريس الأدب، وليس الدراسات الأدبية [2]، ورغم أن الناقد يتحدث عن التعليم الفرنسي إلا أن هناك ارتباط بين كلامه والمنهاج الخاص بتدريس النص الأدبي، الطويل والقصير، في المدرسة المغربية، لأن التعليم المغربي استفاد في القراءة المنهجية للنصوص من المنهاج الفرنسي [3].

صحيح أن المتعلم يحقق في هذه القراءة ذاتيته، من خلال إظهار قدرات وسلوكات مثل التعبير عن الرأي، والقدرة على المبادرة الذاتية، والانفتاح على التجارب الإنسانية المتنوعة، وهي كلها قيم مهمة، ولكن ذلك يبقى غير كاف، وضعيفا جدا مقارنة مع ما يهدف إليه النظام التعليمي، في جانب القيم المختلفة، وما تنص عليه التوجهات الرسمية، وما يحتاج إليه المتعلم في واقعه.

ثانيا . رواية المباءة:

رواية "المباءة" من أعمال الكاتب المغربي محمد عز الدين التازي، وهو كاتب وروائي مغربي، من مواليد سنة 1948م، وتركز هذه الرواية على شخصية قاسم الورداني الذي عمل مديرا لسجن عين قدوس بفاس قبل جنونه، وقاسم معيل أسرة تتكون من زوجته رقية، وابنته منيرة، وولده

[1] . تزفيطان طودوروف "الأدب في خطر "، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر . الدار البيضاء، الطبعة الأولى . 2007م، ص 15.

[2] . نفسه، ص 20.

[3] . "مدخل إلى القراءة المنهجية للنصوص من أجل كفايات قرائية بالتعليم الثانوي"، ص 11 . 12.

منير، وقد كره هذا الأخير وظيفة والده، وطالبه بالاستقالة، كما كره سكنه في السجن، وتعرض بسبب انتماءاته الفكرية والدينية للتعذيب والاختطاف، ليعود إلى البيت شبح إنسان مشلول، أما قاسم فيذهب إلى الرباط ليحضر اجتماعا، قبلَ أن تصيبه نوبة جنونية، هامَ بسببها عاريا في شوارع الرباط، وهو يحمل بين ضلوعه هموم أسرته.

ويدخل بعد ذلك إلى ضريحٍ بالمدينة، حيث زاوية سيدي علي بوغالب، لينضم إلى عالم الموتى، ينقش شواهد الموتى والراحلين إلى عالم الفناء، وتمضي أحداث الرواية تصور لنا عالم قاسم الورداني الجديد، ويجتاح الوباء فاس، فيخرج قاسم ليتجول في شوارعها وأحيائها، وفي الأخير يلتقي بابنته منيرة وزوجته رقية، وبهذا اللقاء تنتهي أحداث الرواية.

ثالثا. مقترحات ديداكتيكية لإدماج الأبعاد القيمية في تدريسية المؤلفات السردية:

يشكل الحكي مادة أساسية في حياة الإنسان والمجتمعات، فهو جزء لا يتجزأ من الثقافات المختلفة، وقد وظفت هذه التقنية في أشكال نثرية قصيرة أو طويلة تحكي أحداثا، وتقوم على تقنيات وعناصر، مثل: الشخصيات، والزمان والمكان.

وهذه الأشكال إما أن تتخذ شكل حكي قائم عل السرد كالقصص والروايات وغيرها، أو شكلا قائما على العرض، ويتمثل أساسا في المسرحية، وهي ما يطلق بالمؤلفات السردية، ومن هذه المؤلفات رواية المباءة لعز الدين التازي التي تضمنها برنامج اللغة العربية لمستوى الجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية.

وإذا كانت الرواية عموما تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الإنسان من الظواهر والوقائع، وتجسد ما في العالم [1]، فإن الحاجة إلى معالجة موضوع القيم، حاجة أساسية خاصة إذا تعلق الأمر بتدخل عنصر ثالث وهو المتعلم (التلميذ)، الذي يمثل محور العملية التعليمية التعلمية، وما يتحكم فيه من قناعات وظروف واحتياجات.

ويمكننا القول في البداية أن تدخل آلية التوجيه القيمي سيكون بارزا في مرحلة القراءة التحليلية، وخاصة في المحاور المتعلقة بالأحداث والبعدين النفسي، والاجتماعي والتاريخي، ففي هذه المحاور تظهر السلوكات والمواقف التي يجب أن تدفع المدرِّس إلى مناقشتها مع المتعلمين من أجل بناء شخصية سوية إيجابية.

[1]. عبد المالك مرتاض " في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد "، مجلة عالم المعرفة، ديسمبر 1998، ص 12.

فرواية "المباءة" تبرز مواقف وأحداثا متخيلة لا بأس بتنوعها وعددها، تحتاج إلى هذا التدخل التوجيهي القيمي، أبرزها [1]:

- الإيمان بالكرامة، وزيارة الولي في الليل، وتقديم البركة (ص 49. 50).

- استغلال النساء والضعفاء في الأضرحة (ص 50. 51).

- إقامة حفل الختان في الأضرحة، طلبا للبركة، وطمعا في مساعدة الشرفاء والمحسنين (ص 65. 66. 67).

- اختفاء القطط في يوم عيد الأضحى هروبا من منظر الدم (ص 66).

- الإيمان بخروج السيد الولي من القبر ليبارك الأطفال، وجلود بكارتهن (ص 68).

- مقاومة الأب قاسم للمستعمر الأجنبي (ص 77).

- تدخين منير (82).

- مباغتة منير لوالده بسكين (ص 96).

- انتماء منير إلى اليساريين، ثم بعد ذلك إلى الإخوان (ص 98).

- خرج الجنية "عيشة قنديشة" في حلم قاسم (ص 103. 104).

- ذبح الأضاحي في القبور (ص 136).

وقبل تقديم بعض المقترحات المتعلقة بإدماج البعد القيمي في دراسة المؤلفات، نلاحظ أن الرواية تعكس واقعا خارجيا موجودا بقيمه واتجاهاته الصالحة والطالحة، أي أنه تمثيل لواقع كائن، لذلك لا بد من التذكير بما جاء في التوجيهات التربوية وبرامج اللغة العربية الخاصة بالجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية من أن الخطوات المقترحة في تدريس المؤلفات " لا تلغي اجتهادات الأساتذة ومقترحاتهم لتطوير درس المؤلفات " [2].

ومن هذا المنطلق وبغية تطوير هذا الدرس لكي يتوافق مع المرجعيات التربوية، والأهداف والكفايات المتوخاة، ينبغي الاهتمام لجانب ميول المتعلمين وآرائهم، من خلال ما يلي:

[1]. محمد عز الدين التازي "المباءة"، مكتبة الأمة للنشر والتوزيع. الدار البيضاء، طبعة 2012.

[2]. "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي "، ص 19.

- أنشطة مرتبطة بالقيم مندمجة أثناء الحصص الدراسية، أو في نهايتها كـتركيب أو كـخلاصة للحصة.

ومن الأنشطة المقترحة:

- استخراج السلوكات السلبية وطرح البدائل.

- طلب اختيار القبول بالموقف أو رفضه.

- تحليل الموقف، وطلب المواقف الخاصة بالمتعلمين. التنشيط والتفاعل مع المواقف....

- مناقشة الظواهر أو الأحداث التي يمكنه إبداء الرأي فيها من أجل تفادي السلوكات السلبية، مثل ذبح الأضاحي عند الأضرحة، والإيمان بخروج الولي صاحب الضريح.

- إعادة صياغة مراحل الحصة الدراسية، ويمكن تقسيمها إلى: التقويم التشخيصي أو التقديم. التحليل. التركيب. التقويم والتربية على القيم.

- بناء صنافة للقيم خاصة بكل مؤلف سردي تمثل الأهداف والقيم المطلوب إكسابها وتعزيزها، وفي حالة المباءة تبرُز قيم: الإيمان بالله. حب الوطن. الاعتدال. التسامح. إعمال العقل والتفكير النقدي.

- إعادة النظر في طريقة صياغة الاختبارات والتقويمات، لأن التقويم عملية متكاملة ومتنوعة وهادفة، وشاملة تمتد إلى جميع الأهداف المنشودة [1]، ومنها الأهداف المرتبطة بالقيم، من خلال تنويع مجالات الأنشطة الاختبارية أو التقويمية، من مجال معرفي ومنهجي وقيمي وجداني وغيرها.

فإذا كانت منهجية اختبار درس المؤلفات (السردية) تهدف حسب الأطر المرجعية المتعلقة باختبارات الامتحان الوطني الموحد للبكالوريا إلى قدرات، وهي [2] :

[1] . محمود داود الربيعي "المناهج التربوية المعاصرة"، دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان، الطبعة الأولى. 2016م، ص 257. 258.

[2] ."الأطر المرجعية لاختبارات الامتحان الوطني الموحد للباكالوريا. 2022. الإطار المرجعي لمادة اللغة العربية وآدابها شعبة الآداب والعلوم الإنسانية" المركز الوطني للتقويم والامتحانات. 2022، ص 8.

- وضع المؤلف في سياقه العام.

- تحديد موقع المقطع ضمن مسار الأحداث.

- تحليل المطلوب.

- تركيب المعطيات لإبراز قيمة المؤلف، وإبداء الرأي الشخصي وتعليله.

فإننا في حالة الجذع المشترك، يمكن تكييف هذه المنهجية مع هذا المستوى، من خلال الاستئناس ببعض القدرات مثل تحديد موقع المقطع ضمن الأحداث السردية، وتحليل المطلوب، مع سؤال مرتبط بتعزيز القيم، من خلال إبداء الرأي الشخصي في فعل شخصية من شخصيات المؤلف، أو ظاهرة من ظواهره، وتعليل هذا الرأي، مع ضرورة ضبط الحدود الكيفية والكمية لهذا الرأي، لكي لا تكون الإجابة نمطية، أو غير معززة للقيم الإيجابية.

- تكليف مجموعة معينة من المتعلمين، بعروض وأعمال تركز على الجانب القيمي من خلال إبداء الرأي في أفعال شخصيات المؤلف السردي ومواقفهم، والظواهر البارزة فيه، بالاستحسان أو الاستهجان، مع تعليل آرائهم بأدلة مقنعة متنوعة: منطقية – واقعية – دينية – استشهادات - إحصائيات، وغيرها، وتكييف هذه العروض مع الجدول الزمني للحصة، ومراحل الدرس، وفق جذاذة مدمجة للبعد القيمي.

ويمكن أن يتم الأمر باختيار المعنيين بهذه العروض بشكل محدد ومدروس، بناءً على تشخيصات قيمية يقوم بها المدرِّس للمتعلمين، أو من خلال ملاحظاته لسلوكاتهم أثناء الممارسات الصفية المتنوعة، أو ما تظهره النتائج السلوكية للمتعلمين خارج الفصل الدراسي، بالتعاون مع الإدارة التربوية، أو مع مدرسي الأقسام المعنية.

خاتمة

ختاما يمكن الخلوص إلى:

- أن إدماج البعد القيمي في دراسة المؤلفات السردية، تم تهميشه لصالح البعد التحليلي الداخلي، وهو أمر يتناقض مع التوجهات التربوية الخاصة بتدريس مكونات اللغة العربية، والتي تنص على وجوب تنويع الأهداف والكفايات المستهدفة، ومنها تعزيز الميولات الإيجابية، وترسيخ القيم الدينية، والوطنية، والحضارية، وغيرها.

- هذا الخلل يهدد تكاملية العملية التعليمية، وقد تم تقديم مجموعة من الاقتراحات الديداكتيكية لتجاوز هذا التهميش، وفي الوقت نفسه تمكين المدرِّس من تدخل ناجع وناجح من أجل تحسين سلوكات المتعلمين، الذي يشكل جزءا من العملية التربوية المتكاملة في أهدافها ومراحلها، ومنها: إعادة النظر في مراحل درس المؤلفات السردية بغية استدماج التربية على القيم، وإدراج أنشطة ملائمة لذلك من مناقشات واستطرادات وعروض متنوعة ومقصودة، إضافة إلى تحديد القيم المستهدفة في كل مؤلف سردي.

لائحة المصادر والمراجع

- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي "المحكم والمحيط الأعظم"، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى. 2000م ,
- تزفيطان طودوروف "الأدب في خطر"، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى. 2007م.
- جميل الحمداوي، مقال "منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب"، نشر في 23 مايو 2008، موقع ديوان العرب، الأربعاء 11 يونيو 2014.
- خالد الصمدي، "القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها" منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. 2008م.
- عبد الرحمان التومي "الجامع في ديداكتيك اللغة العربية مفاهيم، منهجيات ومقاربات بيداغوجية"، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط، الطبعة الثانية. 2016.
- عبد الرحيم كلموني "مدخل إلى القراءة المنهجية للنصوص من أجل كفايات قرائية بالتعليم الثانوي"، منشورات صدى التضامن. طبعة 2006م.
- عبد الكريم غريب "مستجدات التربية والتكوين"، منشورات عالم التربية.
- عبد المالك مرتاض "في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد"، مجلة عالم المعرفة، ديسمبر 1998م.
- لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية . وزارة التربية الوطنية "الكتاب الأبيض"، ج 1 (الاختيارات والتوجيهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة المناهج التربوية).
- اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين. وزارة التربية الوطنية: "الميثاق الوطني للتربية والتكوين".
- مجموعة من الأساتذة "القراءة المنهجية للمؤلفات الروائية بالتعليم الثانوي التأهيلي . الجذع المشترك "، الطبعة الأولى. 2006م.

- محمد أوزي "المعجم الموسوعي لعلوم التربية"، مطبعة النجاح . الدار البيضاء، الطبعة الأولى . 2006م.
- محمد الدريج "التدريس الهادف، 1 . مساهمة في التأسيس العلمي لنموذج التدريس بالأهداف التربوية"، من إصدارات كلية علوم التربية . جامعة محمد الخامس الرباط . 1991م.
- محمد عز الدين التازي "المباءة"، مكتبة الأمة للنشر والتوزيع . الدار البيضاء، طبعة 2012م.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين "رؤية استراتيجية للإصلاح 2015 . 2030".
- محمود داود الربيعي "المناهج التربوية المعاصرة"، دار صفاء للنشر والتوزيع . عمان، الطبعة الأولى . 2016م.
- مديرية المناهج . وزارة التربية الوطنية: "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي " 2007 نونبر / الرباط.
- "الأطر المرجعية لاختبارات الامتحان الوطني الموحد للباكالوريا . 2022 الإطار المرجعي لمادة اللغة العربية وآدابها شعبة الآداب والعلوم الإنسانية" المركز الوطني للتقويم والامتحانات. 2022م.
- كتاب " النجاح في اللغة العربية . الجذع المشترك للتعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية" مطبعة النجاح الجديدة . الدار البيضاء . طبعة 2017.